

الإخلاص □ تعالى وموا نعه



«اشتراط الإسلام الإخلاص في سائر أعمال المؤمن ليؤجر على عمله وليفوز بالثواب من □ رب العالمين.

بل إن أوّل ما يتعلّـمهُ المهتدي إلى الإسلام أن نيّة الوضوء والغُسل والصلاة والصوم والحجّ، يجب أن تكون خالصةً وقربةً إلى □ عزّ وجلّ، وإذا لم تكن كذلك اعتُـبِر العمل باطلاً فاسد، تجب إعادته، ويؤوّنـم صاحبه وقد يفوت وقت العبادة أحياناً.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّه لا ملازمة بين صحّة العبادة في الظاهر وقبولها في الواقع، فحتى ولو كانت النيّة خالصةً من الرّياء الظاهري، بحسب ما ذكره الفقهاء إلّا أنّها لا تكون صحيحةً مع الشّرّك الباطني في الواقع، وغير مقبولة لدى □ سبحانه.

قال □ تعالى ملكه العزيز: □ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا □ مَخْلُصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (البينة / 5).

وقال سبحانه: □ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ □ (الأعراف / 29).

ورؤي عن مولانا ومقتدانا رسول □ (ص) قوله: □ «قال □ تعالى: الإخلاص سرّ من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي».

تعريف الإخلاص

قال العارف السالك الأنصاري: «الإخلاصُ تصفية العمل من كلِّ شوب»، وقيل عن الإخلاص أنَّهُ: «تنزيه العمل أن يكونَ لغير الله فيه نصيب». وقيل: «هو أن لا يريدَ عامِلُهُ عليه عوضاً في الدارين». □

ونُقل عن الشيخ المحقق محي الدين العربي أنَّهُ قال: «ألا □ الدينُ الخالصُ عن شوب الغيِّريَّة والأنايَّة، لأنَّك لِفَنائِكَ فيه بالكلايَّة، فلا ذاتَ لك، ولا صفةَ، ولا فِعْلَ، ولا دين، وإِلا لَمَّا خَلَصَ الدِّينُ بالحقيقة، فلا يكون □». □

الإخلاص علامة أهل الإيمان

يُعبِّر الإخلاص عن شدَّة الإيمان وقوَّة اليقين، وكلاماً كان حاضراً في العمل كلاماً كان توفيقاً □ حاضر. □ والمؤمن يتميِّز عن غيره في جملة ما يتميِّز، بابتغاء وجه □ تعالى لنيل رضاه، بينما غيره له أهداف شتَّى. □

يقول □ تعالى عزَّه، رداً على شبهات اليهود والنصارى: □ وَلَدَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكَ مُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ □ (البقرة / 139).

وأمر سبحانه نبيِّه (ص) بالعبادة المخلصة كعلامةٍ له ولأُمَّتِهِ من بعده، قال: □ □ إِنْ زَلَّ لَدُنَا إِلَهِيكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ □ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ □ (الزُّمَر / 2-3).

وهكذا، فإنَّ أعمال أهل الإيمان مرتبطة بنبيِّتهم وإخلاصهم وحبِّهم لمعبودهم الخالق جلَّ جلاله، لا يُشركون في حبِّه أحد، في مقابل عبادة أهل الشِّرْك والعقائد الفاسدة الذين يتوجَّهون ويستعينون بمخلوقات يجعلونها □ نظير، والعياذ با □.

فَمَنْ عَظُمَ عنده وجهُ □ اكتفى به عملاً في السموات والأرض، ورؤي عن النبيِّ الخاتم (ص): «اعملْ لوجهٍ واحد يكفيك الوجه كله». □

وحتى المؤمنين، تتفاوت درجاتهم بحسب إخلاصهم، وفي النصِّ المبارك الوارد في تنبيه الخواطر: «بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين». □

وهكذا درجات جنَّات النعيم، جعلنا □ تعالى من أهله، يقول مولانا عليُّ بن أبي طالب (ع): «كلاماً أخلصتَ عمل، بلغتَ من الآخرة أمل». □

الإخلاص في العمل أشدُّ منه

ورد عن أبي عبدا □ (ع) في قوله تعالى: □ لِيَدَّبُّوا وَكُفُّمْ أَيْ يَكُفُّمْ أَوْ حَسَنُ عَمَلٍ □ (الملك / 2)، قال: ليس يعني أكثرَ كُفِّ عمل، ولكن أصوبُ كُفِّ عمل، وإنَّما الإصابةُ خشيةُ □، والنيةُ الصادقةُ والخَشيةُ □، ثمَّ قال: «الإبقاءُ على العمل، حتى يَخْلُصَ أشدُّ من العمل، والعملُ الخالصُ الذي لا تريدُ أن يحمِدَكَ عليه أحدٌ □ لا □ تعالى، أفضلُ من العمل، ألا وإنَّ النيةَ هي العملُ، ثمَّ تلا قوله عزَّ وجلَّ: □ قُلْ كُلُّ يَعْْمَلُ عَمَلَهُ شَتَاكِلَاتِهِ □ (الإسراء / 84)، يعني على نيَّته». □

لعلَّ البعض يظنُّ أنَّ الإخلاص مسألةٌ بسيطةٌ يُمكنُ تحصيلها بأدنى جهد، لكنَّ الذي يعرف طبيعة النفس البشرية وهواها ورغباتها وشهواتها يتلمَّس عظيم المعاناة التي تُصاحب العمل ليكون صافياً خالصاً قربةً إلى □ تعالى. □

والمؤمن بالغيب هو الأقدَر والأجدر لتحصيل هذه الدرجة المعنوية العالية. رُوِيَ عن أمير المؤمنين (ع) قوله: «تصفية العمل، خيرٌ من العمل». وعن الإمام الباقر (ع) قوله: «الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل».

قال الراوي: وما الإبقاء على العمل؟

قال (ع): «يصل الرجل بصلته، ويُنفق نفقةً له وحده لا شريك له، فتُكتب له سرٌّ، ثم يذكرها فتُمحى فتُكتب له علانية، ثم يذكرها فتُمحى وتُكتب له رياء».

لذلك أراد الإسلام أن يُعلِّم أتباعه الإخلاص الحقيقي فدعاهم ودرَّ بهم على عبادة السرِّ، في سائر المجالات، وجعلها أجراً وثواباً أفضل من عبادة العلن.

واشتُهر عن مولانا رسول الله (ص) قوله: «أعظم العبادة أجر، أخفاه».

وفي بحار الأنوار أيضاً، عن الإمام الصادق (ع) قال: «إذا كان يوم القيامة، نظر رضوان خازن الجنة إلى قومٍ لم يَمِرُّوا به، فيقول: مَنْ أنتم؟ ومن أين دخلتم؟! قال: يقولون: إِيَّاكَ عَنْ، فَإِنَّا قَوْمٌ عِبَدْنَا إِيَّاكَ سِرّاً، فَأَدْخَلَنَا إِيَّاكَ سِرّاً».

أَيُّهَا الحبيب، ألا ترى معي أن صلاة عليّ (ع) تُضاهي طاهرَ صلاة المنافق، في أجزائها وشرائطها وشكلها الخارجي؟!

نعم!!! إلا أن هذا يعرج بعمله إلى الله سبحانه، وذاك يغور في جهنم وبئس المصير.

إنَّ تقديم أهل بيت العصمة (ع) رغيفاً أو أقراصاً من الخبز للفقير، بعد تحمُّل جوع يومين أو ثلاثة، قد تفعله أنت من دون صعوبة ومشقة... لكن هيهات لأمثالنا من النية الخالصة الصادقة!

فالأشياء ليست بشكلها بل بروحها وقصدها – ولقد قالوا في العلوم العقلية، أنَّ شَيْئاً شَيْئاً الشيء بصورته لا بمادته، وهذا هو معنى الحديث المشهور «نيةُ المؤمن خيرٌ من عمله»، «ألا وإنَّ النية هي العمل» وجميع الأعمال فانية في النية، ولا استقلالية له.

إنَّ تخليص الأعمال من جميع مراتب الشُّرك والرياء... ينحصر في إصلاح النفس، وإلا يبقى الإنسان يعيش في البيت المظلم للنفس، ولا يكون مسافراً إلى الله تعالى، بل يبقى مُخْلِداً في الأرض.

آثار الإخلاص الغيبية

لا شكَّ أنَّ للإخلاص كما لسائر الأعمال الخيرية والعبادات الجليلة التي أمرنا بها آثاراً قد نرى أن نشعر ببعضه، لكن لا شكَّ ما خفي علينا أعظم وأجل.

وقد ورد في حقِّ الإخلاص ما يُبهر العقول من أُمور لا نملكُ لها تفسيراً إلاَّ أنَّها رحمةٌ من الله العزيز الجبار، ولا يُمكن تفسير مثل هذه البركات بموازين العقل والمنطق السائدين عند أهل الدُّنيا.

فبعد المراقبة الشديدة، يثبت المرء على الإخلاص ليوم أو يومين... أمّا مَنْ وفَّق لأكثر من ذلك فسوف يزرقه الله رزقاً لا يُوزن بذهب ولا بفضة.

ورد عن سيّدنا المصطفى (ص): «ما أخلص عبدٌ عزَّ وجلَّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». □

وفي تسديد □ عزَّ وجلَّ للمؤمن المخلص، رُوِيَ عنه (ص): □ «قال □ عزَّ وجلَّ: لا اطمَّلع على قلب عبدٍ، فأعلم منه حبَّ الإخلاص لطاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي إلا تولَّيتُ تقويمه وسياسته». □

قصّة للعبرة والاقتداء

في سياق قصّة موسى وشعيب (ع)، ورد: □

«فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيبٌ، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعشّ، فقال له موسى: أعود يا □، قال شعيب: ولِمَ ذاك، أَلَسْتَ جائعاً؟ □

قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لِمَا سقيتُ لهم، وإزّلاً أهلَ بيتٍ لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهب، فقال له شعيب: لا وإ □ يا شاب، ولكنّها عادتي وعادة آبائي نقري الصّيف ونُطعم الطعام. قال: فجلس موسى يأكل».

ومضات: الإخلاص هو تصفية العمل من كل شَوِّ، فلا يَعتَبر عمله من كَسْبِهِ، فكيف يطلب عليه ثواب، بل هو محض موهبة أجراها □ جلّ جلاله على يديه، وهو العبد الذي لا حول له ولا قوّة إلا بربِّه تبارك وتعالى.

نصوص مباركة تتعلّق بالموضوع □

قال □ تعالى: □

□ إِيَّاكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَبَايَأُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا □ (النِّسَاء / 146).

□ قُلْ إِنْ زَيْ أُمِّرْتُ أَنْ أَعْبُدَ □ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ □ (الزُّمَر / 11). □

وفي حقِّ سيّدنا يوسف (ع)، قال تعالى: □

□ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ □ إِنَّ زَوْجَهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ □ (يوسف / 24).

وعن رسول □ (ص): «ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنّما الصلاة إخلاصك وأن تريد بها وجه □». □

وعن مولانا أمير المؤمنين (ع) قوله: □ «الإخلاص غاية الدِّين». □ و«الإخلاص أعلى الإيمان». □

وعن مولانا الحسن العسكري (ع): □ «لو جُعِلَتْ الدُّنيا كلها لقمةً واحدةً، ولقَّمتُها مَنْ يَعْبُد □ خالص، لرأيتُ أنِّي مُقَصِّرٌ في حقِّه». ►

